الحلقة الثالثة

النداء الإلهي للمؤمنين

بسم الله الرحمن الرحيم

أيها الإخوة المؤمنون : أيتها الأخوات المؤمنات :

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته :

وبعد : فهيا بنا إلى مائدة رمضان ، والالتفاف حولها والانتفاع بما عليها ، هيا بنا إلى تلك المائدة ، ففيها الزاد القلبي لنا ، وفيها أشهى الأطعمة لأرواحنا ، وهذا لون من ألوانها ، وصنف من أصنافها ، ولنقرأ معا ما جاء في القرآن الكريم عن هذا اللون وذلك الصنف ، انه جاء بقول الله تعالي :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ (البقرة : ١٨٣).

إنه نداء حلو جميل ، له أعظم الوقع في القلوب ، وأجل الأثر في النفوس ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ ﴾ (البقرة : ١٨٣)، إنه النداء الرباني المرتبط بأفضل نعت وهو الإيمان ، انه نداء التشريف والتكريم ، وممن هذا النداء ؟ إنه من الله - تبارك وتعالي - ولمن هذا النداء المقترن بالإيمان ؟ إنه لأحباب الله من المؤمنين ، والقرآن الكريم جاء بهذا النداء الإيماني التشريفي في نيف وثمانين موضعا ، وهذا دليل علي سمو منزلة من دخل في هذا النداء التكريمي ، وعلو قدر من شرف بالاستظلال بظل الإيمان المثمر البناء ، الذي تظهر آثاره علي أعضاء الجسم ، صلاة وصوما ، وذكرا وتقي ، وصلة بالله تعالي ، وتعاونا مع أبناء الإنسانية ، وحسن مسيرة في

الحياة ، إن المؤمن الذي دخل في هذا النداء المشرف ، أهْلُ لستٍّ مكافآت نفيسة من الله ومؤهل لبشارات ربانية جاء بها كتاب الله ، وأول هذه المكافآت محبة الله ، ومصداق ذلك قول الله تعالي :

﴿ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ ﴾ (المائدة : ٥٤)

وثاني : المكافآت نصر الله ، مصداق ذلك قول الله - جل شأنه - :

﴿ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ (الروم :٤٧).

وثالثها : العزة من الله للمؤمنين ، ومصداق ذلك قول الله - تعالي - :

﴿ ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ﴾ (المنافقون : ٨).

ورابعها : الرحمة من الله لهم ، ومصداق ذلك قول الله - تعالي - :

﴿ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴾ (الأحزاب : ٤٣).

وخامسها : الفضل والمغفرة ، ومصداق ذلك قول الله - تعالي - :

﴿ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ اللَّهِ فَضْلاً كَبِيرًا ﴾ (الأحزاب : ٤٧).

وسادس : تلك الجوائز الإلهية : الشفاعة يوم لقاء الله ، ومصداق ذلك في قول الله تعالي : ﴿ وبشر الذين آمنوا أن لهم قدم صدق عند ربهم ﴾ (يونس : ٢).

تلك المكافآت التي جاء بها القرآن الكريم ، هي من نصيب المؤمنين الحقيقيين ، وقد منحهم الله إياها لأنهم أحبابه ، والصفوة من خلقه ، وهي كما نري مكافآت ثمينة نفسية ، لأنها من الله الكريم الواسع العطاء ، والكريم لا يعطي إلا ما يليق بكرمه ، ويتفق مع جلال قدره . وقد

خاطب ربنا - جل جلاله - المكلفين من عباده بهذا التشريع بقولـه – تعالـي - : ﴿ يا أيها الذين آمنوا ﴾، وهكذا هيأ الله المخاطبين لقبول كل ما يكلفون به ويطلب منهم مهما كان هذا التكليف شاقا وعسيرا، لأن صفة الأيمان تقتضي ذلك وتوجبه ، حيث إنه من آمن بالله كإله ورب ، وسيد ومطاع ، وصاحب الأمر والنهي ، وخضع له بقلبه وقالبه ، واستسلم له وأحبه من أعماق قلبه ، كان جديرا بإجابة كل ما يصدر عنه من أمر ، وكل ما يوجه إليه من طلب . هذا هو شأن ، المؤمن الحقيقي ، وتلك هي حاله ، والقرآن الكريم بين هذه الحقيقة وتحدث عنها في أكثر من آيه ، فهذا قوله سبحانه :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اسْتَجِيبُواْ لِلّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُم لِمَا يُحْيِيكُمْ ﴾ (الأنفال : ٢٤).

وهذا قوله - تعالي - : ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ ولا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ﴾ (الأحزاب : ٣٦) .

وهذا قوله - سبحانه وتعالي - : ﴿ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ﴾ (النور : ٥١) .

وهكذا نجد ربنا لم يكلف عباده إلا بعد تهيئة ، ولم يأمرهم بما يريد إلا بعد إعداد ، وهنا في فرض الصيام هيأ الله نفوس عباده المؤمنين ، وخاطبهم بما فيه تشريف لهم ، وناداهم بنداء التكريم والتقدير ، ووصفهم بأعظم الأوصاف وأنبلها ، حيث قال رب العزة - جل شأنه - : ﴿ يا أيها الذين آمنوا ﴾ وبعد هذا النداء الإلهي المشرّف قال ربنا لهم : ﴿كتب عليكم الصيام ﴾ وبعد أن بين سبحانه أن الصوم قد فرض عليهم ، أخبرهم بأن الصوم ليس بدعا في التشريع ، إذ أنه كتبه وأوجبه علي من سبقهم من الأمم الخالية ، وفي هذا تهوين عليهم وتخفيف من وطأة هذا التشريع علي النفوس ﴿كما كتب علي الذين من قبلكم ﴾.

أيها الإخوة والأخوات : إن ربنا - سبحانه - قد شرف هذه الأمة المحمدية، وأعلي شأن المؤمنين ، وذلك بما ذكره في القرآن الكريم من آيات التكريم والتقدير ، وآية الصوم التي معنا ﴿ يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام ﴾ تبرز ذلك التكريم الإلهي ، ومثيلاتها من الآيات الأخرى التي جاءت في القرآن الكريم ، تجسد كذلك هذا التقدير الرباني، حيث أتبع ربنا نداءه بوصف الإيمان، والإيمان هو سر ذلك التقدير والتكريم والمؤمن يبرهن بإيمانه علي سعة أفقه ، وعلي بعد نظره ، وشدة فطنته ، وغزارة ذكائه ، وعلي سمو نفسه ورجاحة عقله، إذ لولا هذا الأفق الواسع لما آمن بالله ، ولولا رجاحة عقله لما توصل إلى المعرفة بخالقه ، حيث إن المعرفة به - سبحانه - تستلزم قلوباً فاقهة ، وأعينا مبصرة ، وآذانا ليست صماء ، وتأثرا بالآيات والدلائل المبثوثة في الكون ، وتفاعلا مع الدعوة إلى الإيمان بالله - تبارك وتعالي - وهكذا نجد القرآن الكريم يصم الكفار بوصمة العار ، ويبين انهم لم يؤمنوا ، لأن لهم قلوبا لا يفقهون بها ، وأعينا لا يبصرون بها ، وآذانا لا يسمعون بها ، وشبههم بالأنعام والحيوانات ، بل يقول : إنهم أدني من ذلك وهم أضل ، وإذاً فوصف الله للمؤمنين به بصفة الإيمان، وسام تشريف وقلادة تكريم ، لأن هذا الذي اتصف بالإيمان ، قد استخدم عقله ، واستفاد من آيات الله في كونه ، وتوصل إلى الحقيقة والمعرفة ، ولم يكن جامد الفكر والنظر ، ولا عديم الفهم معطل العقل ، ومن هنا كان جديرا بهذا التشريف الرباني . والمؤمن الحقيقي الذي ينال الخير كل الخير من ربه ، واجتناب ما نهي عنه خالقه ، وهو ذلك الذي لا يتوانى عن أداء ما طلب منه ، ولا يجرؤ علي مخالفة ربه فيما أمر به أو نهي عنه ، وهو ذلك الذي يطبق ويجسد القوانين السماوية بأمانة وإخلاص ودقة وحسن أداء ، فهو مصل كما أمر، وصائم

كما طلب منه ، وهو بعيد عن المحرمات ، ، ومتحل بالفضائل ، وناءٍ عن الرذائل ، ومثل هذا المؤمن الملتزم جدير بكل خير ، خليق بالسعادة دنيا وأخرى ، وإنا لنسأل الله - سبحانه - أن نكون من هذا الصنف الملتزم .

وبالله التوفيق .